

تداعيات العولمة الإعلامية والاتصالية على اللغة العربية وسبل مواجهتها



د. ليلي فيلائي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخص المقال باللغة العربية

تستهدف هذه الدراسة التعرف على التحديات التي تواجه الدول العربية في ترسيخ لغتها في مجتمع المعلومات العالمي الذي أصبح سمة العصر والألفية الجديدة، وتشخيص الواقع المعلوماتي العربي وتعيين سبل الارتقاء باللغة العربية، فتصاغ إشكالية بحثنا في التساؤل المركزي التالي: ما التحديات التي تواجهها اللغة العربية في مواجهة العولمة الإعلامية والاتصالية والبروز كأداة فاعلة في مجتمع المعلومات العالمي؟ وما هي الوسائل والأدوات التي تضمن رفع مكانة اللغة العربية، وبناء مجتمع معلوماتي معرفي عربي أصيل تلعب اللغة العربية دورا محوريا فيه؟ وسيتم استخدام المنهج التحليلي العام للإجابة على الإشكالية المطروحة وفق خطة تتألف من أربعة محاور، يتناول المحور الأول تحديد المفاهيم ذات الصلة بموضوع البحث، ويعرض المحور الثاني انعكاسات مجتمع المعلومات العالمي على اللغة العربية، ويهتم المحور الثالث بمآل الخصوصية اللغوية في الواقع المعولم ويعرض المحور الرابع مقترحات للنهوض باللغة العربية ومواجهة العولمة الإعلامية والاتصالية.

Résumé de l'article en français intitulé:

Les implications de la mondialisation de l'information et de la communication sur la langue arabe:

Les objectifs de cette étude sont: L'article met l'accent sur l'identification des défis que les pays arabes affrontent pour l'évolution de la langue arabe dans la société de l'information mondiale, cette dernière qui est devenue une caractéristique de notre époque et du nouveau millénaire. Deuxièmement, une présentation d'un diagnostic de la réalité informationnelle dans les pays arabes ainsi que la désignation des moyens pour améliorer la langue arabe. Pour atteindre nos deux objectifs on utilisera une méthode analytique pour répondre à la problématique qui vise à connaître ces défis en quatre chapitres: Le premier, clarifie les concepts. Le deuxième, présente les influences (les répercussions) de la société de l'information sur la langue arabe. En conclusion, le sujet porte sur le sort de la particularité linguistique. Et enfin la présente étude porte

sur des propositions pour faire revivre la langue arabe au sein de la mondialisation de l'information et de la communication.

مقدمة

يكسبي الاتصال عبر تكنولوجياته أهمية قصوى في المشهد الثقافي للهيكلة العالمية المعاصرة، وتطرح - اليوم بقوة - مسألة القيم الثقافية والحضارية التي من مقوماتها اللغة، خاصة بعد ضيق المساحة وتقلص المسافة بين الثقافات الإنسانية المختلفة، وتداخل المرجعيات بفضل الثورة التكنولوجية لوسائل الاتصال والمعلوماتية. وتدخل اللغة العربية في موجة التجديد والتفتح على ثقافة الآخر من خلال تصدير القيم الثقافية الغربية الجديدة وأهمها اللغة الأنجليزية كلغة عالمية لتكنولوجيا الاتصال، وكاللغة الأقوى التي تملك مقومات القوة والهيمنة والسيطرة على اللغات الأخرى.

وتشير أزمة التغير نحو العولمة تناقضا كبيرا بين التوحيد المتنامي للبشرية الذي يقرب ويمزج الثقافات المتنوعة في بوثقة مشتركة من جهة، وبين الحاجة الملحة والمتزايدة لإبراز الخصوصية الثقافية من جهة أخرى. وتواجه اللغة العربية اليوم، باعتبارها وعاء الثقافة العربية والحضارة الإسلامية، تهديدات تتزايد وتتصاعد، تنبع من هيمنة قوى النظام العالمي التي تسعى لفرض اللغة وقوة الثقل العلمي والمعلوماتي والتكنولوجي والسيطرة السياسية والاقتصادية رافضة بذلك صياغة عالم جديد متعدد الثقافات والأقطاب.

إن وضعية اللغة العربية هذه تجعل الهوية في حركة متناقضة، فالهوية تُبنى من خلال مواجهة التماثل والتشويه، والتطابق والاختلاف. بمعنى أن الهوية في النهاية محكوم عليها بالوقوع بين إثنيين: من الفردي إلى الجماعي، ومن الداخل إلى الخارج، وبين الكينونة والفعل، وبين الدفاع والهجوم وبين التجذّر والهجرة، والتشابه والاختلاف، وبين الاندماج والتهميش⁽¹⁾.

يستهدف هذا المقال التعرف على التحديات التي تواجه الدول العربية من أجل ترسيخ لغتها في مجتمع المعلومات العالمي الذي أصبح سمة العصر والألفية الجديدة، وتشخيص الواقع المعلوماتي العربي وتعيين سبل الارتقاء

Daniel. MONDON, Culture et Changement Social: *Approche* (1) *Antropologique*, collection "synthèse", édition Cronique Sociale, Lyon (France), 1992, P176.

باللغة العربية، فتصاغ إشكالية بحثنا في التساؤل المركزي التالي: ما التحديات التي تواجهها اللغة العربية في مواجهة العولمة الإعلامية والاتصالية للبروز كأداة تضمن مكائنها ورفعتها وفعاليتها في مجتمع المعلومات العالمي؟ تتبع الدراسة المنهج التحليلي لمعرفة واقع ودور اللغة العربية في عصر مجتمع المعلومات، وقد استعانت الدراسة بهذا المنهج الذي يتلاءم مع هذا النوع من الدراسات، وذلك بتحليل معطيات الواقع من خلال دراسة واستقراء موضوع اللغة العربية من خلال ما كتب في هذا المجال. حيث وظف هذا المنهج في وصف انعكاسات العولمة الإعلامية والاتصالية على اللغة العربية بمجتمعاتنا العربية وكيفية محافظتها على هويتها.

فهل ستتأثر اللغة العربية بهذا التغيير أم أن المجتمعات العربية ستؤسس ميكانزمات دفاعية وخطط للقيام بعملية التحكم أو الضبط الذاتي للحفاظ على توازنها اللغوي الداخلي؟

لقد تم استخدام هذه المقاربة المنهجية للإجابة على الإشكالية المطروحة من خلال خطة تتألف من أربعة محاور، يتناول المحور الأول تحديد المفاهيم ذات الصلة بموضوع البحث، ويعرض المحور الثاني انعكاسات مجتمع المعلومات العالمي على اللغة العربية، ويهتم المحور الثالث بمآل الخصوصية اللغوية في الواقع المعولم ويعرض المحور الرابع مقترحات للنهوض باللغة العربية ومواكبة العولمة الإعلامية والاتصالية.

المحور الأول: مقارنة لتعريف المفاهيم الديناميكية في الدراسة (أ) • اللغة

يعرّف ابن منظور في قاموس لسان العرب اللغة (لا اللسنُ وحدها أنها أصوات يعبر بها كل قوم عن أعراضها⁽¹⁾). وهي على وزن فعله من الفعل لغوت أي تكلمت وأصل لغة لغوة، فحذفت واؤها، وجمعت على لغات ولغون، واللغو النطق، يقال هذه لغتهم يلغون أي ينطقون⁽²⁾. وهناك من يرى أن لفظة

(1) ابن منظور، لسان العرب، دار إحياء التراث العربي، الجزء 12، بيروت، 1997، ص 300.

(2) محمد بن إبراهيم الفوزان، اللغة العربية والعولمة، جريدة الجزيرة. العدد 9889، تاريخ 1420/7/17هـ،

• <http://faculty.ksu.edu.sa/m.AIFouzan/Pages/%D8%>

تاريخ الزيارة: 2016/01/12.

" لغة " قد تكون أخذت من - لوغس - اليونانية، ومعناها كلمة⁽¹⁾.

تحظى اللغة بقيمة جوهرية كبرى في حياة كل أمة، فإنها الأداة التي تحمل الأفكار وتنقل المفاهيم كما أنها وعاء الثقافة وأداة الاتصال بين الماضي والحاضر والمستقبل، فهي تقيم روابط الاتصال بين أبناء الأمة الواحدة، وبها يتم التقارب والتشابه والانسجام بينهم. إن القوالب اللغوية التي توضع فيها الأفكار، والصور الكلامية التي تصاغ فيها المشاعر والعواطف لا تنفصل مطلقاً عن مضمونها الفكري والعاطفي. إن اللغة هي الترسانة الثقافية التي تبني الأمة وتحمي كيانها. وقد قال فيلسوف الألمان فيخته (Johann Gottlieb Fichte): «اللغة تجعل من الأمة الناطقة بها كلاً مترابطاً خاضعاً لقوانين. إنها الرابطة الحقيقية بين عالم الأجسام وعالم الأذهان»⁽²⁾.

ويقول الراهب الفرنسي غريغوار (Grégoire): «إن مبدأ المساواة الذي أقرته الثورة يقضي بفتح أبواب التوظيف أمام جميع المواطنين، ولكن تسليم زمام الإدارة إلى أشخاص لا يحسنون اللغة القومية يؤدي إلى محاذير كبيرة، وأما ترك هؤلاء خارج ميادين الحكم والإدارة فيخالف مبدأ المساواة، فيترتب على الثورة - والحالة هذه - أن تعالج هذه المشكلة معالجة جديّة؛ وذلك بمحاربة اللهجات المحلية، ونشر اللغة الفرنسية الفصيحة بين جميع المواطنين»⁽³⁾.

تعتبر اللغة مجموعة من الإشارات والرموز يعبر بها كل قوم عن احتياجاتهم، وتختلف هذه اللغة من قوم إلى آخر. ونستطيع أن نحدد للغة مفهومين إثنين: الأول المفهوم الواسع وينطبق على نظام من الإشارات، وظيفته التواصل فنقول: لغة إشارات المرور، لغة القوة...، والثاني المفهوم الضيق وهو الذي نستعمله لما نتكلم على لسن قوم ما، فنقول: اللغة العربية، اللغة السويدية، اللغة الألمانية⁽⁴⁾.

(1) المرجع نفسه.

(2) فرحان السليم، «اللغة العربية ومكانتها بين اللغات»،

• <http://www.saaaid.net/Minute/33.htm>

تاريخ الزيارة: 2016/03/08.

(3) المرجع نفسه.

(4) مصطفى حركات، اللسانيات العامة وقضايا العربية، ط1، المكتبة العصرية للطباعة =

وقد اهتم بها اللغويون منذ العصور القديمة دون تجاهل جهود العرب المسلمين في هذا المجال، حيث تمكنوا من وصف اللغة العربية ووضع قواعدها وشرح نظامها الصوتي، وأدى بهم إلى تأليف أمهات المعاجم وكتب اللغة المختلفة.

ويمكن تعريف اللغة إجرائيا على أنها ظاهرة اجتماعية ومظهر من مظاهر السلوك الإنساني، يعبر بها عن كيان أو مستوى فكري أو حاجة بشرية، فهي تمثل نظاما من الرموز الصوتية التي تستعمل الاتصال البشري كنظام يتصف بالعلاقة الاعباطية المتفق عليها بين الرمز الصوتي ومدلوله.

(ب) • العولمة

لقد ظهرت ملامح العولمة ومؤشراتها بادية عبر اتساع نشاط المؤسسات الدولية وتجاوزها للحدود الوطنية وتكون ما عرف «بالمجتمع الكوكبي» (La société globale). حيث أن لفظ «كوكبي» (global) مثل العالم عن طريق تأشيرة الاتصال الإلكتروني التي جعلت من الكرة الأرضية «مسرحا كوكبيا» أو (عالميا) (un théâtre global) تلعب فيه المؤسسات عبر الوطنية وتكنولوجيا الاتصال دورا أساسيا. وأهم المؤلفات التي أسست لهذا اللفظ نذكر مؤلفين احدهما للكندي ماك لوهان (Marshall MC LUHAN) المعنون «الحرب والسلام في القرية العالمية» (*War and peace in the global village*)، وقد ساعده في إنجازه كونتن فيور (Quen- FIORE tin). والثاني للمؤلف بربزنسكي (Zbigniew BRZEZINSKI) تحت عنوان: «بين عصرين: الدور الأمريكي في العصر الإلكتروني» (*Between Two Ages: America's Role in the Technetronic Era*). وهما يمثلان إطلالة جديدة على العالم بمنظور جديد يختلف في معالمه عن الأطروحات السابقة، وقد نشر عام 1969⁽¹⁾.

فقد استعمل مصطلح «الكوكبية» (globalisation) في بداياته الأولى بمدارس التسيير والتسويق التابعة لأكبر الجامعات الأمريكية في مستهل

= والنشر، بيروت، 1998، ص7.

(1) Armand et Michèle. MATTELART, *Histoire des théories de la communication*, collection REPÈRES, LA DECOUVERTE, paris, 1995, p101.

الثمانينيات. واقترن حينذاك «بالعولمة المالية» (globalisation finan-) (cière la globa-)، ثم تطور مع الانطلاقة الجيواقتصادية (géoéconomie) وشبكاتهما التقنية للإرسال والإعلام... وأصبحت «الكوكبية» أو «العولمة» (la globa- lisation) تمثل إطارا أو شبكة للقراءة السبرنيتيقية للعالم (Une grille de lecture cybernétique) وللنظام العالمي الجديد..⁽¹⁾. بمعنى أنها تشكل نموذجا يفسر حالة العالم بعد التطورات الاقتصادية والتكنولوجية التي اجتاحت كل المجالات.

ولكن العولمة قد توسعت مجالاتها وزوايا تناولها في العصر الحالي تبعا لتنوع أنماط النشاط الممارس من قبل الإنسان العصري. «ويمكن اختصارها في أربعة أنواع تتصف كلها بظواهر التمييط والتوحيد (l'uniformisation)»⁽²⁾ وهي:

• العولمة الاقتصادية، • العولمة والتنمييط البيروقراطي، • العولمة العلمية
عولمة الإعلام • والعولمة الثقافية، ومنه يتجلى لنا أن العولمة الثقافية (La glo- balisation de la culture) تتم على مستوى المحتويات المبثثة عبر وسائل الاتصال التكنولوجية الصّانعة للمجتمع العالمي على حدّ تعبير بريزنسكي، ويؤكد ذلك الأنثروبولوجي الهندي أرجون أبادوري (Arjun APPADU- RAI) قائلا: «أن عولمة الثقافة ليست بالضرورة عملية تجانسها، لأن العولمة تتطلب أجهزة متنوعة لإحداث المجانسة كالسلاح، تقنيات الإشهار، هيمنة اللغات ونماذج الملبس، والتي يتم تشربها من طرف الاقتصاديات السياسية والثقافات المحلية»⁽³⁾.

ويرى الشيخ الدكتور يوسف القرضاوي أن «العولمة في المفهوم الأمريكي لا تعني معاملة الأخ لأخيه كما يريد الإسلام، ولا معاملة الند للند، كما يريد الأحرار والشرفاء في كل العالم، بل تعني معاملة السادة للعبيد، والعمالقة

ENCYCLOPEDIA UNIVERSALIS (CD ROM), France.SA, 1997. (1)

Marc. FERRO, «Une information mondialisée», Le Monde diplomatique, Collection Manière de voir 27, Août 1995, pp(77-78). (2)

Armand. MATTELART, *La Communication - Monde, Histoire des idées et des stratégies*, série Histoire contemporaine, LA DECOUVERTE, Paris, 1992, p.282. (3)

للأقزام، والمستكبرين للمستضعفين»⁽¹⁾.

واعتمدنا في توظيفنا للعولمة نظرة جيوتكنولوجية (Géotécno-logique) للثقافة، نتيجة لاحتياجات البحث ومتطلبات إشكاليته. وبالتالي فقد تم الجمع بين العولمة الإعلامية والاتصالية الممثلة بتكنولوجيا المعلومات والعولمة الثقافية التي تحوي عولمة اللغة كمفهومين متضافرين قادرين معا على تشريح واقع اللغة العربية، حيث أن عملية إنشاء مجتمع المعلومات العالمي قد فسح المجال للرحب لتدفق المنتجات الثقافية ذات الصبغة العالمية (univer-saux culturels)، التي تعزز اليوم فكرة إقامة سوق فريد وموحد للصور يبحث عن ثقافة عالمية (culture globale) تعرض فضائل وميزات الرجل الأمريكي ولغته. «وبالفاظ تقنية عبّر استراتيجيو تسيير الأسواق العابرة للحدود (des marchés transfrontières) عن ذلك بما أسموه التقارب الثقافي للمستهلكين (convergence culturelle des consommateurs)»⁽²⁾.

(ت) • العولمة الإعلامية والاتصالية

كثيرا ما تعبر ظاهرة العولمة الإعلامية والاتصالية عن معنى واحد يتجسد في التزاوج بين تكنولوجيا الاتصال والمعلومات والتواصل بينهما متجاوزين الحدود التقليدية ومؤديان إلى ظهور ما يعرف حاليا بالاتصال المتعدد الوسائط (Multi-Média) الذي يركز على تطور الحاسبات في جيلها الخامس. لقد تبلورت الثورة التكنولوجية في مجال الاتصال والمعلومات في بنى عالمية عملاقة تنتشر كأنها نسيج عنكبوتي وتتجسد فيما يعرف بالثلاثي التكنولوجي التي يتقاسم مع مجلس إدارة اقتصاد العالم السلطة المطلقة في تسيير شؤون العولمة والتحكم في مساراتها. والذي يعني أرقام البث المباشر وشبكات المعلومات الدولية والاتصالات اللاسلكية⁽³⁾.

ويمكن القول إن مجتمع المعلومات هو البديل للمجتمع الصناعي بعد أن حصلت التطورات الهائلة في حجم المعلومات ونوعيتها وأصبحت تغطي مختلف مجالات الحياة للإفادة منها في التحديث وبرامج التنمية وتطور

(1) يوسف القرضاوي، خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، دار الشروق، القاهرة، 2004، ص 123.

(2) ENCYCLOPEDIA UNIVERSALIS (CD ROM), op.cit.

(3) عواطف عبد الرحمن، الإعلام العربي وقضايا العولمة، مرجع سابق، ص 28.

المجتمع، ثم حصلت القفزة الكبرى في ظهور التكنولوجيا المتقدمة لمختلف أنواع الحواسيب للتحكم في المعلومات وتجميعها وتخزينها ومعالجتها واسترجاعها واستخدامها، ودخلت تكنولوجيا المعلومات في المؤسسات الإنتاجية والخدمية ومنظمات الأعمال لاستثمار هذه التكنولوجيا في إنجاز مهامها ونشاطاتها وزيادة الإنتاج، ثم حصل التزاوج بين تكنولوجيا الحواسيب والاتصالات الحديثة وأدى إلى ظهور مجتمع المعلومات المعاصر الذي هو الشكل المبرز للعولمة الإعلامية والاتصالية⁽¹⁾.

لعبت شبكة الأنترنت الاتصال المتعدد الوسائط (multimédia) دورا هاما في عملية نقل المعلومات وتسهيل الاتصال وطينا وعالميا كما تعد مؤشرا للدخول في عهد جديد يختلف في ملامحه عن العصور السالفة، باعتبارها عنصرا مكملا لكل تجهيزات الاتصال المتواجدة حاليا. فحسب رأي الكاتب ميشال سالوف - كوست (Michel SALOFF- COSTE) في إحدى مؤلفاته والمعنون بـ«إدارة الألفية الثالثة» والقائل: «قبل دخول أي عصر جديد، يوجد هناك دائما مؤشرات لأحداث ومواقف تنبئ بحلوله، وتدعى ببذور المستقبل... إذ أن شبكة الأنترنت تعد بذرة مستقبل للعصر الجديد إبداع / اتصال»⁽²⁾.

ونوه إغناسيو راموني (Ignacio RAMONET) في إحدى مقالاته بضرورة التنبيه إلى طبيعة ثورة تكنولوجيايات الإعلام والاتصال واعتبر أن مجموعة الاتصالات الجماهيرية مثارة بفضل ظاهرتين وهما أولا: الثورات التكنولوجية للإعلام الآلي المخترق لكل قطاعات النشاط والطرق السريعة للمعلومات والتحويلات الرقمية. وثانيا العمليات الكبرى للاندماج والتمركز التي مست كل الصناعات ذات الصلة بالاتصال. كما أكد على الأهمية الكبرى التي تمتاز بها المضامين (المعلومة، المعرفة العلم، التعليم، الإبداع في

(1) موقع كنانة، «خصائص وأبعاد مجتمع المعلومات»،

• <http://kenanaonline.com/users/papersproducts/posts/94889>

تاريخ الزيارة: 2014/03/12.

(2) Henri. JOUSSELIN, «à la découverte de l'Internet», Revue le guide d'Internet et du multimédia, édité par continental one, MEUDON (France), Hors-série, juillet-Août, 1996, P33.

الصناعات الاتصالية»⁽¹⁾.

لا ريب أن يكون عالم الاتصال والإعلام قد تأثر بظهور وانتشار أجيال جديدة من التقنيات الاتصالية التي طورت خصائص العمل التطبيقي التقني أو في مجال بناء الإشارات والرموز التي تتعلق بالقيم والجوانب الثقافية. «وتم تحويل شكل الإشارة من النموذج التناظري التقليدي (analogie) إلى النموذج الرقمي (digital)، كما تم الاستغناء عن التغيرات المتشابهة للأحجام المتفاوتة، واعتماد القياس الكمي الرقمي، ما أتاح، من جهة، إلى حمل إشارات أكثر بكثير من السابق، بصورة آنية، وعلى ذات القناة، وإمكانية نقل إشارات غير متجانسة فيما بينها أيضا على ذات القناة، وهي إشارات أصبحت متشابهة وقابلة للتعايش فيما بينها بفضل تحويلها إلى كيانات رقمية»⁽²⁾.

تعد الثورة الإعلامية والاتصالية أهم ملامح «الثورة الصناعية الثالثة»، وتعد هذه الأخيرة محرك العولمة السارية والتي تشغل فيها تكنولوجيات الاتصال والمعلومات موقعا مركزيا في شبكة الإنتاج الصناعي وفاعلا هاما في استراتيجية ولوج القرن الواحد والعشرين.

وقد اعتبر ألفين توفلر (Alvin TOFFLER) أن عالم التكنولوجيا العالية (la high-tech) أدى إلى عولمة الشؤون المالية والاقتصادية المشكلة لانطلاقة الموجة الثالثة التي قلبت رأسا على عقب كل النظريات الخاصة بالموجة الثانية. حيث أن التقدم المعرفي قد أنشأ أجهزة جديدة كليا وضاعف من سرعة العمليات في شكل نشاط اقتصادي مباشر اختصر الزمن والمكان مثل الدور الذي تقوم به وسائل الاتصالات السلكية واللاسلكية، حيث يرى فيتوريو مرلوني (Vittorio MERLONI) أن التقدم الاقتصادي للبلدان يعود في الواقع إلى أننا استطعنا القيام بالشيء نفسه بأقل رأس مال⁽³⁾.

(1) Ignacio. RAMONET, «*Internet ou mourir*», Le Monde Diplomatique, coll. *Manière de voir*, Dossier: «*Révolution dans la communication*», N°46 Juillet-Août, 1999, P6.

(2) G.Bettetini et F. Colomba, «*de nuove tecnologie della comunicazione*», Ed. Bompiani, 1998, P14,

في: فريال مهنا، علوم الاتصال والمجتمعات الرقمية، دار الفكر، دمشق، 2002، ص 397.

(3) Alvin et Heidi. TOFFLER, *Créer une nouvelle civilisation: la politique de la troisième vague*, traduit par P.E DAUZAT & autre, FAYARD, Paris, 1995, PP.43-52.

وتتصف بعض المؤلفات الصادرة في النصف الثاني من القرن العشرين بالتفاؤل تجاه مظاهر العولمة والتقدم التكنولوجي الذي نشط أساليبها. ومن بين المؤلفين في هذا الشأن نذكر كنيشي أوماو (Kinichi OHMAE) وجورج غليدر (George GILDER) وبن واتربارغ (Ben WATTEN- BERG) الذين يتوقعون ازدهارا مستمرا للبشرية⁽¹⁾.

لقد أصبحت وسائل الإعلام الجماهيرية ومواد الإعلام المتعدد (multi-média) والطرق السريعة للمعلومات تُعد سلطات جديدة ذات نفوذ على الجماهير الحاشدة في الكون. وييدي الفيلسوف والطبيب الفرنسي فيليكس غاتاري (Felix GUATTARI) تفاؤله في مؤلفه المعنون (Chaosmose) المنشور عام 1992، حيث يقول: «لعل التطورات التكنولوجية في هذه الميادين الحديثة وممارستها لخبرات اجتماعية، ستخرجنا من مرحلة الضيق الحالي وستدخلنا عصر ما بعد الإعلام (postmédia)»⁽²⁾.

يبدو أن المتفائلين بمظاهر العولمة الإعلامية والاتصالية متحمسون لهذا التحول التكنولوجي، بينما يكون المتشائمون ممثلين لاتجاه مضاد يرون في هذا النوع من العولمة نفيا للتعددية الثقافية وتسييدا لقيم الربح والخسارة وآليات السوق في مجالات الإعلام والاتصال والمعلومات فضلا عن الاعتداء على حرية وسائل الإعلام والحق في الاتصال وتفويض سلطة الدولة - الأمة لصالح الشركات الاحتكارية.

قد تجسد هذا التوجه في رؤية هربرت شيللر (Herbert SCHILLER) الذي عرف عولمة الإعلام على «أنها تركيز وسائل الإعلام في عدد من التكتلات الرأسمالية التي تستخدم هذه الوسائل كحافز للاستهلاك عبر إدخال قيم أجنبية تطمس الهويات القومية أو الوطنية»⁽³⁾.

(1) Paul. KENNEDY, *Préparer le XXI^e siècle*, ODILE JACOB, Paris, février 1994, P.392.

(2) Armand . MATTELART, *L'invention de la communication*, Série *Histoire Contemporaine*, LA DECOUVERTE, Paris, 1994, P.344.

(3) محمد حسين أبو العلا محمد، «اتجاهات المثقفين نحو العولمة وعلاقتها بأنساق القيم والبيئة في المجتمع المصري»، أطروحة دكتوراه في الفلسفة والعلوم البيئية، جامعة عين شمس، مصر، 2003، (غير منشورة)، ص187.

وعليه فإن إشكالية مفهوم العولمة الإعلامية والاتصالية في بحثنا تدور حول سلطة تكنولوجيا اتصالية ومعلوماتية تتنوع رسائلها وتتوحد لتصنع مضمونا ثقافيا يتسم بالعالمية وبسيادة لغة مهيمنة في ظل الوجود الفعلي لمجتمع المعلومات المتجسد عبر مختلف الشبكات الإلكترونية ووسائل الاتصال التكنولوجية.

المحور الثاني: انعكاسات مجتمع المعلومات العالمي على اللغة العربية

• أولا: تأثير العولمة على اللغة العربية

ويظهر تأثير العولمة على اللغة العربية من خلال طغيان اللغة الإنجليزية على حساب العربية في الأسرة والمدرسة والجامعة والإعلام والترجمة والتأليف، ويخيل للسامع أن اللغة العربية قد عجزت مفرداتها عن التعبير الصحيح السليم للصور والمشاهدات، وقد أثبتت دراسة (الأردنيون والغزو الثقافي) أن ما نسبته (3.2%) من السكان فقط يشاهدون القناة الأردنية الفضائية، ومن مظاهر العولمة في التربية والتعليم انتشار المدارس التي تدرس باللغة الإنجليزية وازدياد أعدادها سنة بعد سنة واعتمادها على مناهج غير عربية، فعلى سبيل المثال هناك مساحة واسعة للبرامج التلفزيونية الأمريكية على القنوات العربية الأرضية والفضائية، حتى أن هناك قنوات فضائية عربية لا تبث إلا الأفلام والمسلسلات الغربية وعلى رأسها الأمريكية، إلى جانب تبني العديد من القنوات الفضائية العربية برامج غربية شكلاً ومضموناً من مثل (Super Star/ Star Academy/ Tara ta ta/ Top Ten)، إضافة إلى استعمال المصطلحات الإنجليزية بكثرة أثناء الكلام باللغة العربية⁽¹⁾.
والحقيقة التي يقرها الجميع أن اللغة الإنجليزية هي اللغة الأكثر انتشاراً بين سكان العالم... وساعد انتشار الإنجليزية الإعلام وتطور وسائله بصورة غير مسبقة، ثم جاء النفوذ اللغوي للأغاني والأزياء، كما تعتبر في كثير من المنظمات الدولية هي اللغة الدبلوماسية بين أعضائها⁽²⁾.

(1) محمد صايل نصر الله الزبيد، «تأثير العولمة على الثقافة العربية»،

• <http://arabthought.org/content/%d8>

تاريخ الزيارة: 2014/03/13.

(2) مرداسي الجودي، «اللغة العربية وتحديات العولمة»، في: فضيل دليو (إشراف)، (العولمة والهوية الثقافية)، سلسلة أعمال الملتقيات، مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة، جامعة قسنطينة، 2010، ص 235.

وتبرز الأرقام الدولية الرسمية أن 90 % من العناصر التي تتحرك في شبكة الأنترنت هي بالإنجليزية وحدها، وخمسة وثمانين 85 % من الاتصالات الدولية عبر الهاتف تتم بالإنجليزية أيضا، وأن أكثر من 70 % من الأفلام التلفزيونية والسينمائية بالإنجليزية، وخمسة وستين 65 % من برامج الإذاعات في كل العالم بالإنجليزية⁽¹⁾.

ويرى ألفين توفلر (Alvin TOFFLER) أننا مقبلون على عصر يكون للفرد فيه اختيارا كبيرا والاختيار الكبير يؤدي إلى صعوبة استقرار الرأي. فكأننا نفقد الفرد الاختيار بينما نوع له طرق الاختيار. إذ ركز على أن الثقافات المسيطرة وخصوصا الثقافة الأمريكية من خلال الاقتصاد المسيطر بواسطة الكمبيوتر واللغة الإنجليزية، مكنت الولايات المتحدة الأمريكية من السيطرة على مراكز القرار لإدخال كل الدول في نمط الإنتاج العالمي⁽²⁾.

إذ اعتبرت الثورة التكنولوجية أعظم ثورة سمحت للغرب المرور من ثقافة تقليدية إلى ثقافة تقنية (culture technicienne). حيث يقول برنار فالاد (Bernard VALADE) بهذا الصدد أن الثقافة وعد بالحرية، لكنها اليوم أصبحت تابعة للاستحداثات التكنولوجية⁽³⁾.

إن ارتباط اللغة بالثقافة يجعل من الضروري الإشارة إلى توقعات بعض من المفكرين حول الصراع اللغوي الحادث منذ قرون ماضية، والذي اتخذ شكل صراع دارويني يخضع لمقولة «البقاء للأقوى والأصلح»، وذلك من أجل تحقيق الوحدة العالمية التي تمثل فيها اللغة أداة هامة. فقد اهتم الكاتب البريطاني هربرت جورج والز (Herbert George WELLS) (1866-1946) بمسألة الهيمنة اللغوية (la hégémonie linguistique) في مؤلفه المعنون «تنبؤات» (Anticipations) الصادر عام 1902. حيث عالج فيه قضية «صراع

(1) كمال بشر، «اللغة العربية بين العروبة والعمومية»، مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، العدد 96، 2002، ص 43.

(2) ألفين توفلر، صدمة المستقبل، ترجمه ملخصا وعلق عليه: عبد اللطيف الخياط، سلسلة (مشكلات العصر)، دار الفكر، دمشق، 1974، ص 30.

(3) Jean. BILLAUD, *L'homme et la culture: Racines et Perspectives*, Collection *COMPRENDRE LA SOCIETE (L'ESSENTIEL)*, Editions *CHRONIQUES SOCIALES*, Lyon, (France), 1996, pp.(79-80).

اللغات فوق سطح الكرة الأرضية». وتساءل خلاله حول ماهية اللغة التي ستسود أوروبا والعالم بأسره. وإذا كانت اللغة تعبر عن الهوية الثقافية الوطنية، فما هي حينئذ الثقافة التي تفرض نفسها؟⁽¹⁾.

إذ يرى والز (WELLS) أن المستقبل المنظور في القرن الجديد يحمل في طياته تنافسا حادا بين اللغات الرائدة. حيث أنه يخشى كثيرا تصاعد لغات أخرى منافسة للفرنسية والإنجليزية، كالروسية والإسبانية والبرتغالية. لذلك فهو يتوقع أن في هذا القرن ستكون هناك لغتين أو ثلاث لغات «تطمح لاعتلاء عرض إمبراطورية العالم» ودعاها «باللغات الجامعة» (-les langues ras-sembleuses) مستنتجا عندها أن وقائع زمنه لا تفترض حتمية التجانس (l'homogénéité). حيث أنه كلما كان الهيكل الاجتماعي ضخما، كلما ازدادت أجزاءه تعقدا وتنوعا، وبخاصة ما يتعلق بالثقافة التي تخضع بدورها لتصاعد التشابك والتنوع والتقاطع بين القضايا التي هي لبها⁽²⁾.

وقد اعتبرت تضاعف أشكال الاتصال وأنماطه عبر الزمن من أهم العوامل الفعالة في انتشار اللغات في العالم واقتحامها للحدود الدولية. حيث تنوعت اللقاءات بين البشر بفضل التطور التكنولوجي الذي أزاح الحدود واختصر المسافات بين البشر.

ويضيف والز (WELLS) في هذا الإطار قائلا أن تضاعف أنماط الاتصال والتنقل واللقاءات والأسفار في عام 2000 ستدفع العالم إلى إقامة «اتفاق بين لغتين» (Un compromis bilingue).. هما حسب تقديرات الكاتب - اللغة الإنجليزية واللغة الفرنسية⁽³⁾.

وقد وردت مسألة توحيد اللغة في كتابات أخرى للمفكر والز (WELLS) ومنها روايته الرائعة «العالم المحرر» (Le Monde Libéré)، والذي يقدم تصورا للعالم بعد الخراب الذي ينتابه مع نهاية حرب عالمية. فقد قضي على الحضارة القديمة، وتعمل البشرية حينئذ على بناء حضارة جديدة بإقامة مؤتمر عالمي منتخب من طرف الجميع «يفتح عصرا للحرية الكاملة في التعبير

(1) ENCYCLOPEDIA UNIVERSALIS (CD.ROM), op.cit.

(2) Ibid.

(3) Armand. MATTELART, *L'Invention de la Communication*, op. cit, p.215.

وحرية النقد وحرية النشاط»⁽¹⁾.

وقد طرح ديفد كريستال (David Crystal) في بداية كتابه «اللغة والأترنت» عدة أسئلة مؤداها⁽²⁾:

- هل يضع الأترنت الذي تُسيطر عليه اللغة الإنجليزية نهاية للغات الأخرى؟

- هل تؤدي المعايير المتساهلة للبريد الإلكتروني، إلى نهاية الكتابة والهجاء كما نعرفها؟

- هل يبدأ مع اختراع (الأترنت) حقبة جديدة من البأبة التكنولوجية؟
ويقول وليد إبراهيم الحاج أن ديفد كريستال يخلص في نهاية كتابه، إلى أن كلام الشبكة يعتبر وسيطاً لغوياً جديداً، ويضيف أن من الآن فصاعداً لا بد أن نضيف بعداً آخرًا للبحث المقارن: «اللغة المنطوقة في مقابل اللغة المكتوبة، في مقابل لغة الإشارة، في مقابل اللغة بواسطة الحاسوب» ويضيف كذلك أن كلام الشبكة شيء جديد تماماً، فلا هو كتابة منطوقة، ولا كلام مكتوب، بل هو شيء مختلف اختلافاً جذرياً عن الكتابة والكلام، إذن فهو باختصار وسيط رابع⁽³⁾.

ولا بد من وصف وضع اللغة في الشبكة العنكبوتية العالمية حيث أصبح اليوم من أهم المقاييس التي يُلجأ إليها في الحكم على مكانة هذه اللغة وقياس مدى حيويتها وتكيفها وتطورها مع مُستجدات العصر، لدرجة أنه أصبح يُقال: «كل لغة في هذا العصر ليس لها حضورٌ في الأترنت (...) تُعدُّ خارج نطاق الحركة تماماً. أي أنها بعبارة واحدة تُعتبر غير موجودة»⁽⁴⁾.

ENCYCLOPEDIA UNIVERSALIS (CD.ROM), op.cit. (1)

David Crystal, *Internet and language*, medicine.kaums.ac.ir/.../ Files/Language_and_%20The_Internet.pdf,

تاريخ الزيارة: 2014/10/13.

(3) وليد إبراهيم الحاج، «اللغة العربية ووسائل الاتصال الحديثة»، دار البداية، الأردن، 2007، ص 32-33.

(4) عبد العلي الودغيري، «وضع اللغة العربية في عصر العولمة وتحدياتها»، مجمع اللغة العربية الأردني،

• <http://www.majma.org.jo/majma/index.php/2009-02-10-09-35-28/468-2012-04-23-07-41-07.html>

تاريخ الزيارة: 2014/03/01.

ورغم أن دخول العربية إلى الشبكة ومُحرّكات البحث المشهورة ومواقع التواصل الاجتماعي المختلفة، ما يزال طرئاً جداً، ولم تَمْضِ عليه سوى سنوات قليلة، إلا أن سرعة انتشار استعمالها، ربما أدهش الكثيرين. فهي اليوم أصبحت، من هذه الناحية، تحتلُّ موقِعاً متقدِّماً بين اللغات العشر الأوائل في العالم، وتختلفُ رتبُها - في الأغلب - بحسب اختلاف المصادر والمعايير المستخدمة في الإحصاء، من السابعة إلى التاسعة، وقد تتأخر عن هذه الرتبة قليلاً حسب تقديرات أخرى. لكنها بالتأكيد ماضيةٌ نحو كَسْبِ المواقع المتقدمة خلال الأعوام القادمة كما تدلُّ على ذلك التوقُّعات المستقبلية⁽¹⁾.

وكانت دراسة إقليمية حول اتجاهات استخدام الأنترنت في المنطقة العربية أصدرتها الإمارات نهاية شهر أبريل من عام 2013، حيث قالت إن عدد مستخدمي الأنترنت في المنطقة العربية قد تجاوز 125 مليوناً، وإن أكثر من 53 مليوناً منهم يتواصلون عبر وسائل التواصل الاجتماعي كمستخدمين نشطين ضمن مجتمعاتهم، ويرى 71 في المائة من إجمالي المستخدمين العرب أنها بديل للتواصل التقليدي⁽²⁾.

ولا أدل على ذلك من كون المعلومات المنشورة تشهد بكل تأكيد ارتفاعاً كبيراً في عدد مستخدمي الشبكة ومواقعها، بفعل عوامل كثيرة منها ما أصبح يُعرفُ باسم «الربيع العربي» الذي اعتمد شبابه أساساً على الشبكة والمواقع التواصلية الاجتماعية. ومن الأدلة على ذلك ما ورد في تقرير وكالة رويترز. وهو أن عدد مستخدمي (الفيسبوك) في العالم العربي وصل في شهر أوت 2011م ما يقرب من 32 مليون مستخدم بمعدل نمو قدره في الوطن العربي، خلال الربع الأول من العام نفسه 50%، وأن مصر وحدها أضافت أربعة ملايين مُستخدمٍ منذ بداية 2011م. كما ارتفع عددُ مستخدمي (تويتر) في الوطن العربي خلال الربع الأول من العام نفسه بشكل لافتٍ جداً⁽³⁾. وقد بين التقرير الذي حمل عنوان «تقرير الأنترنت في العالم العربي»

(1) المرجع نفسه.

(2) صحيفة (الاقتصادية)، «الاقتصادية تستعرض أكبر (5) في الاستخدام حتى الشهر الماضي 3.29 مليار مستخدم للشبكة العنكبوتية حول العالم»، 02 ماي 2013، العدد 7143

• http://www.aleqt.com/2013/05/02/article_752633.html

تاريخ الزيارة: 2014/03/29.

(3) عبد العلي الودغيري، «وضع اللغة العربية في عصر العولمة وتحدياتها»، مرجع سابق.

الذي قدمته «الشبكة العربية لمعلومات حقوق الإنسان» و«مؤسسة مهارات» اللبنانية، أن عدد مستخدمي الإنترنت في العالم العربي بلغ 157 مليون مستخدم نهاية سنة 2015، وأوضح ذات التقرير أن عدد مستخدمي الإنترنت في العالم العربي قد تضاعف ثلاثة مرات خلال سبعة أعوام. وأشار كذلك التقرير الذي قدم خلال مؤتمر صحفي بمناسبة اليوم العالمي لحرية الصحافة، إلى أن عدد مستخدمي مواقع التواصل الاجتماعي «فيس بوك» في العالم العربي قد تضاعف أكثر من ستة مرات خلال نفس الفترة، بينما كان عددهم نحو 12 مليون سنة 2009، أصبح عددهم، حالياً يقارب 78 مليون مستخدم⁽¹⁾. وفي الوقت نفسه صرّحت الرئيسة التنفيذية لشركة «ياهو» (Yahoo) في بداية صيف 2011م أن شركتها أصبحت تُدرك وجودَ فُرصٍ هائلة في المنطقة بفضل نموّ استعمال الشبكة، واعتبرت الأسواق العربية في هذا المجال أسواقاً واعدةً «فخلال عام واحدٍ من شراء (ياهو مكتوب) ارتفع عددُ المستخدمين في المنطقة من 30 مليون شخص إلى 50 مليوناً، وأصبحت صفحة (ياهو مكتوب) العربية في نوفمبر (2010) خامسَ أكثر صفحات (ياهو) الرئيسة شعبيةً في العالم حالياً. وحسب ما جاء في أحد المواقع التي أوردت تصريح مديرة «ياهو»، فإنه بعد ستة أشهر على إطلاق الصفحة الرئيسة لموقع «ياهو مكتوب» بالعربية، أصبحت هذه الصفحة هي ثاني أكبر وجهة إخبارية في المنطقة العربية بعد موقع «الجزيرة» الإخباري⁽²⁾.

ومن الشواهد والأدلة الكثيرة في هذه النقطة، ما ورد في تقرير عن موقع (هسبريس) المغربي الذي ينشر مقالاته وتقاريره بالعربية - ويُقال إنه أكبر موقع إلكتروني في المغرب - وهو أن عدد زوّاره يناهزُ 1.600.000 شهرياً، وقد سجل في نهاية 2015 حوالي مليوني تحميل⁽³⁾ وأنه بهذا العدد اليومي من الزوّار يتجاوز عدد النسخ المطبوعة يومياً (وليس المبيعة) لجميع الصحف

(1) موقع أحداث هاي تيك، «157 مليون مستخدم الإنترنت بالعالم العربي»

• <http://www.ahdath.info/?p=71518>

تاريخ الزيارة: 2016/02/28.

(2) عبد العلي الودغيري، «وضع اللغة العربية في عصر العولمة وتحدياتها»، مرجع سابق.

(3) موقع مغربي إخباري متخصص في تكنولوجيا المعلومات، «ترتيب المواقع الإخبارية المغربية حسب تحميل تطبيقاتها»،

• <http://www.atqny.com/>

تاريخ الزيارة: 2016/02/25.

المغربية. وبذلك يكون هذا الموقع المغربي الذي مضى عليه أقل من أربع سنوات (تأسس عام 2007)، قد أصبح في سرعة فائقة من المواقع التي تُعدّ مرجعًا عالميًا والبالغ عددها 31 ألف موقع إلكتروني عالمي⁽¹⁾.

وإذا كانت الفقرة السابقة قد تحدثت عن موقع العربية في نوع جديد من وسائل الإعلام، وهو الذي يمكن أن نسميه بالإعلام الإلكتروني أو الإعلام الضوئي، فهناك مقاييس أخرى يمكن استعمالها لوزن قيمة مختلف اللغات في العالم في الوسائل الإعلامية التقليدية كالصحافة المكتوبة والمسموعة والمرئية. فمن المؤكّد أن وفرة الصحف المطبوعة والإذاعات المسموعة والقنوات الفضائية وانتشارها وتعددها بلغة معيّنة، يُعدّ من أهم المعايير التي تُستعمل في تقويم لغة من اللغات الحيّة. ولنكتفِ الآن بقياس العربية عبر عدد المحطات الإذاعية العالمية. فمن خلال إحصاء أنجز على عيّنة محصورة في 115 إذاعة تبث بمختلف اللغات عبر العالم، اتضح أن العربية تحتلّ فيها الرتبة الرابعة بعد الإنجليزية والفرنسية والرّوسية (كالفي 2010). ولا شكّ أننا لو أضفنا إلى هذا عدد ما يصدر يوميا وأسبوعياً وشهرياً من الصُّحف والمجلات العربية المكتوبة في كل أنحاء العالم العربي وخارجَه أيضاً، وعدد القنوات التّلفزيونية المُستعملة للعربية التي تبث بواسطة الأقمار الصناعية أو غيرها، وعدد ساعات بثّها، سنجد أن وضع العربية في كل هذه المجالات الإعلامية، من حيث الكُم على الأقل، عدداً وإفراً جدّاً ومؤشراً قوياً على حضور هذه اللغة المُتزايد في مختلف وسائل الإعلام الدولي. فبفضل هذه الوسائط الإعلامية وصلت العربية إلى أقصى نقطة في العالم⁽²⁾.

• ثانياً: مقومات بناء مجتمع معلومات معرفي عربي يؤسس للمواطنة اللغوية

لا يمكن بناء مجتمع معلومات معرفي عربي أصيل بدون أن تكون اللغة العربية عماده، وعليه، إذا أردنا بناء مثل هذا المجتمع، مجتمع يتلقى المعرفة أساساً بالعربية ويعيد إنتاجها باللغة العربية، يجب أن تصبح العربية لغة إنتاج المعرفة، ولغة التواصل المعرفي ونشر العلم والمعرفة في الأقطار العربية. هذا مع انفتاحنا على الثقافات واللغات الأخرى لكي نستقي العلوم والمعارف،

(1) عبد العلي الودغيري، «وضع اللغة العربية في عصر العولمة وتحدياتها»، مرجع سابق.

(2) المرجع نفسه.

عن طريق التعريب والترجمة.

كما يجب أن تستخدم التكنولوجيا الحديثة لإنتاج ونشر المعرفة والعلم والثقافة وتحسين المهارات والتعليم وتقوية قدرات الشخص على اكتساب المعارف التي تساعده في الحياة، لأن ما يحدث حالياً في المجتمع العربي الاستهلاكي من إساءة استخدام التكنولوجيا يعرقل تطور «مجتمع معلومات معرفي عربي» فيها وكل هذه المظاهر الاستهلاكية المرتبطة بتقنية المعلومات لأن المؤشرات الحقيقية والفعالية لمدى وجود مجتمع معلومات معرفي في العالم العربي يكون مبنياً على دور تكنولوجيا المعلومات في التنمية الثقافية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية.

وقد خلص تقرير التنمية الإنسانية العربية عام 2003 عن أزمة المعرفة في العالم العربي إلى اعتبار اللغة العربية مركزاً أساسياً في بناء مجتمع المعرفة المنشود، ذلك أن «دور اللغة في مجتمع المعرفة جوهري، لأنها أساس رئيس من أسس الثقافة، ولأن الثقافة باتت المحور الأساس الذي تدور في فلكه عملية التنمية. واللغة محورية في منظومة الثقافة لارتباطها بجملتها مكوناتها من فكر وإبداع وتربية وإعلام وتراث وقيم ومعتقدات. واللغة محورية في تقنية المعلومات، إذ أن معالجتها بواسطة الحاسوب هي محور هذه التقانة وأساس الذكاء الاصطناعي. واللغة هي الأداة التي تستخدمها جميع فروع المعرفة: الفلسفة والعلوم الإنسانية والطبيعية والفنون. ومجتمع المعرفة، وهو مجتمع التعلم مدى الحياة، يركز على اللغة، سواء أكانت لغة إنسانية طبيعية أم لغة برمجة اصطناعية أم لغة جينية بيولوجية. وهي ضرورية لبناء مهارات التواصل الإنسانية والأساسية في مجتمع المعرفة، وفي عالم المال والتجارة والسيطرة السياسية والإيديولوجية على أجهزة الإعلام الجماهيرية، فضلاً عن صناعة الثقافة. بوجه عام تحتل اللغة والخطاب المعرفي الذي يخدم مصالح النظم والمؤسسات والأسواق مكانة لا مثيل لها»⁽¹⁾.

يبين التقرير أن للعربية مكانة هامة ومحورية في بناء مجتمع معرفة عربي أصيل، يتلقى وينتج المعرفة بالعربية، ينشر المعرفة، وأن تصبح لغة التواصل

(1) محمد أمارة، «العربية كخيار استراتيجي لبناء مجتمع معرفي عربي»، موقع الجبهة، حيفا، 2012/12/15

• <http://aljabha.org/index.asp?i=73188>

المعرفي في العالم العربي.

1- اللغة العربية والتطورات التكنولوجية:

هنا لا بد من الإشارة إلى أن التطورات التكنولوجية على قاعدة الميزة الإلكترونية قد ألغت الفوارق بين اللغات وحروف كتابتها، وأصبح التعاطي معها على قدم المساواة، لا فرق بين لغة تكتب بحروف لاتينية أو بحروف مغايرة، كيفما كانت أشكالها، إذ منذ اعتماد لغة الترميز الموسعة (XML) (Langage de Balisage Extensible) (Extensible MarKup) معيارًا أساسيًا، وقائم الذات ولكونه من البرمجيات والأجهزة المستقلة لنقل البيانات وتخزينها على صفحات شبكة الأنترنت، هذا بالإضافة إلى اعتماد الشفرة الموحدة للحروف اليونيكود (unicode)، وهي مجموعة من محارف قاعدية تحتوي على جميع حروف لغات العالم، وبهذا أضحى برمجيات وأدوات التطوير للشبكة العنكبوتية أكثر ملاءمة للنطاق الدولي، واستخدام اللغات المختلفة، كيفما كانت طبيعتها، أكانت تكتب من اليمين أم اليسار أم العكس، ولم تعد بحاجة إلى إنشاء برمجية أساسية لها⁽¹⁾.

لا شك أن هذا التطور التكنولوجي الإلكتروني قد ألغى ودحض كل الآراء والمواقف التي كانت تروج في الشرق في بداية القرن الماضي، وبالأخص في الأربعينيات منه، مفادها أن حروف اللغة العربية بذاتها تشكل عوائق جوهرية أمام التطور التكنولوجي والصناعي، بل على العكس، أصبح التطور التكنولوجي والصناعي والإلكتروني يسهم في حل ما كان يعتبر عوائق أمام تطور اللغات والعلوم واكتساب المعرفة.

ولقد شهدت الدراسات المعنية باللسانيات الحاسوبية العربية تطورا لافتا، إذ نجح كثير من الباحثين العرب في توصيف موضوعات لغوية هامة، استخدمت في الترجمة الآلية، وتعليم اللغة العربية ولعل من أهم ما وضع في هذا السياق كتاب «العربية: نحو توصيف جديد في ضوء اللسانيات الحاسوبية» للدكتور

(1) عبد الغني أبو العزم، «اللغة العربية والتطورات التكنولوجية»، جريدة (هسبريس) المغربية، 25 ديسمبر 2013،

• <http://www.hespress.com/writers/97287.html>

نهاد الموسيقى، إذ جاء توصيفا مستوعبا لأنظمة اللغة العربية المتعددة⁽¹⁾.

2- ميزات حوسبة اللغة العربية:

لحوسبة اللغة العربية فوائد جمة، فيكفي أن نشير إلى أن حوسبة اللغة العربية ستساعد كثيرا في تعليم اللغات سواء على مستوى اللغة الأم أو اللغة الأجنبية؛ لما للحاسوب من مزايا عرض متعددة ومختلفة وطرق منهجيو تعليمية تساعد على تجسير الفجوة بين اللغة ومتعلمها.

وهناك أبحاث جادة من قبل اللغويين ومهندسي الحاسوب من أجل إدخال الحوسبة إلى الترجمة بما يعرف بالترجمة الآلية (MT Machine Translation) أو بمفهومها الآخر بشيء من الاختلاف في درجة استخدام الحاسوب في الترجمة. وهذا أمر يعتمد على عدة عوامل الأمر الأول هو تطوير جهاز الحاسوب إلى درجة تمكنه من التعامل مع اللغات في هذا المجال. أما الأمر الثاني فهو إعداد اللغات بشكل يتيح للحاسوب التعامل معها. وتشكل الترجمة أكبر التحديات للحاسوب في مجال اللغات البشرية، وذلك لسبب بسيط هو أن التعامل مع اللغة البشرية يعتمد على الملكة العقلية للبشر، وهذه ليست عملا آليا كما هو الشأن في الأمور الأخرى، كعمليات التصنيع، التي أظهر الحاسوب قدرة هائلة عليها⁽²⁾.

وتمثل مسألة مخاطبة الآلة تحديا لمقدرتنا على فهم عمليات إدراك الكلام وإنتاجه، كما أن مسألة إنتاج برمجيات تقدم بعض المعرفة بلغة الإنسان مسألة سيكون لها تأثير كبير على الكيفية التي تدار بها شؤون الناس وأعمالهم، فالحواسيب اليوم لا تفهم لغتنا، كما أنه يصعب على عامة الناس فهم لغات الحاسوب وتعلمها، وإذا ما أردنا أن يعم استعمال الحواسيب ليشمل كافة فئات الشعب، فإننا بحاجة إلى تحقيق مزيد من التقدم في مجال تقنيات اللغات.

أما عن الغاية من حوسبة اللغة العربية فيتمثل في تقديم توصيف شامل ودقيق للنظام اللغوي للحاسوب تمكنه من مضاهاة الإنسان في كفايته وأدائه اللغويين، فيصبح قادرا على تركيب اللغة وتحليلها، يمثل الرسم الكتابي بالإملاء الصحيح، ويعرف قواعد النظام الكتابي ما ظهر منها وما بطن فيكشف

(1) وليد إبراهيم الحاج، «اللغة العربية ووسائل الاتصال الحديثة»، مرجع سابق، ص 20.

(2) المرجع نفسه، ص 30-31.

الأخطاء الإملائية، ويبني الصيغ الصرفية ويتعرفها في سياق الكلام. وينشئ الجمل الصحيحة، ويعرب كما يعرب الإنسان، ويصحح النطق إذا عثر به اللسان فإذا ورد مثلاً عبارة (صوت معجز) يحولها إلى (صوت مزعج) وتغيير صفته إذا سمع قائلاً يقول: «سباح الخير» بدلاً من «سباح الخير»... إلخ. وما مشاريع «المُصحِّح الإملائي» و«المُعرب» و«المُحلِّل الصرفي» إلا نماذج لمحاكاة ما يخترنه الإنسان من أدلة الكفاية اللغوية ونماذج وتطبيقات تمثيل اللغة للحاسوب⁽¹⁾.

ومن بين المشاريع المطروحة حالياً فيما يتعلق بالمحتوى الرقمي العربي هناك مبادرة الملك عبد الله بن عبد العزيز التي أعلن عنها في نهاية سنة 2007، وقد تكفلت مدينة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية بتفعيل هذه المبادرة فيما يخص المحتوى، لتدخل مجال التطبيق الفعلي، مستفيدة من تجارب دولية، وما قدمته من تطبيقات في شتى مجالات المعرفة والاقتصاد والتجارة، وقد سارت سورية في النهج نفسه، حيث عقدت أول مؤتمر وطني، في منتصف شهر يوليو من سنة 2009، وذلك لوضع استراتيجية عملية لصناعة المحتوى الرقمي العربي، شاركت فيه بعض الدول والمؤسسات العربية، بالإضافة إلى منظمات دولية⁽²⁾.

ومن أهم الدراسات في هذا الموضوع ووسائل النهوض بالمحتوى العربي دراسة أعدتها الباحثة ناريمان 2010 وترجع أهمية هذه الدراسة إلى استنهاض اللغة العربية وتطويرها، ومن ثم إيجاد آليات لتطوير الرقمنة، وإثراء المحتوى العربي الرقمي على الإنترنت. كما تتمثل مبررات هذه الدراسة في التعرف على القضايا والإشكاليات التي تواجه اللغة العربية مثل الفجوة المعجمية، وعدم وجود محرك بحث عربي ذكي يتعامل بشكل علمي مع خصائص اللغة العربية، فضلاً عن إشكاليات المسح الضوئي الآلي، وهي من العمليات المعقدة التي لم تتطور بالنسبة للغة العربية، هذا بالإضافة إلى المساهمة في تطوير وإتاحة المحلل الصرفي، وهو أداة رئيسة في معالجة اللغة العربية بالحاسوب، هذا إلى جانب تمكين المستخدم العربي من استخدام لغته العربية لكسر حاجز اللغة عن طريق تعريب أسماء النطاقات، كذلك التعرف على إشكاليات

(1) المرجع نفسه، ص 32-33.

(2) عبد الغني أبو العزم، «اللغة العربية والتطورات التكنولوجية»، مرجع سابق.

الترجمة وتعريب المصطلحات، وأخيرًا التعرف على المبادرات والمشاريع الاستراتيجية العربية في مجال الرقمنة، وبالتالي إثراء وتدعيم المحتوى العربي ومكوناته الإبداعية على الأنترنت⁽¹⁾.

المحور الثالث: مآل الخصوصية اللغوية في الواقع المعولم

يشير الكثير من المهتمين أن العولمة الثقافية هي الصيغة الأكثر خطورة والأشد ضررًا على الشعوب من غيرها من الأنماط الأخرى. فالعولمة عابرة للقارات لا تعترف بالحدود الإقليمية ولا الجغرافية ولا السياسية ولا الثقافية، فهي بالتالي تخترق خصوصيات وهويات المجتمعات، وتعمل على تهميش قيمها ومعتقداتها وأساليب تفكيرها وأدوات تواصلها لتحل محلها ثقافة العولمة، وذلك بما تمتلكه من وسائل السيطرة والانتشار والغلبة، فانفتت بذلك المشافهة المبرمجة وسبل التفاعل بين الشعوب لعدم توفر نفس الحظوظ. ولكن متطلبات العولمة تفرض ذوبان وتلاشي الهويات الثقافية المحلية المختلفة، بما تنطوي عليه من قيم أخلاقية وروحية وسلوكية، في سبيل توطين وسيطرة الهوية الغربية بكل معطياتها وأبعادها. ومما لا شك فيه أنه ولكي تقوِّم الجماعات في ثقافة واحدة لا بد من القضاء على الثقافات الأخرى، وخاصة تلك التي تتسم بالأصالة والمقاومة والممانعة مثل الثقافة العربية الإسلامية. وذلك بوسائل شتى على رأسها السياسة والاقتصاد والتكنولوجيا وسائر أدوات العلم والمعرفة التي تسخر من أجل هذا الهدف الأكبر.

يقول عبد العزيز عثمان التويجي في كتابه «اللغة العربية والعولمة» والذي صدر ضمن منشورات الإيسيسكو إن من أكبر التحديات التي تواجه اللغات الحية في عالم اليوم تحدي العولمة التي تندفع في اكتساح جارف للخصوصيات اللسانية واللغوية والثقافية التي هي القاعدة الصلبة للوجود المادي والمعنوي للأمم والشعوب لتشكل بذلك خطراً محدقاً بالهويات الوطنية⁽²⁾. وتواجه اللغة العربية اليوم باعتبارها وعاء للثقافة العربية وللحضارة الإسلامية أخطاراً تتفاقم باطراد، يأتي من هيمنة النظام العالمي الذي يرفض

(1) سلوى حماده، «اللغة والهوية العربية في مواجهة عصر المعلومات والعولمة»، مرجع سابق.

(2) مرداسي الجودي، «اللغة العربية وتحديات العولمة»، في: فضيل دليو (إشراف)، (العولمة والهوية الثقافية)، سلسلة أعمال الملتقيات، مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة،

جامعة قسنطينة، 2010، ص 235.

صياغة العالم الجديد متعدد الأقطاب والمراكز والثقافات والذي يسعى لفرض اللغة الأقوى بحكم قوة الفعل السياسي والنقل العلمي والثقافي والاقتصادي⁽¹⁾.

فرضت هذه الهيمنة إذن تحديات ورهانات على المجتمعات عامة وعلى مجتمعنا العربي والإسلامي، إذ تعتبر مسألة الثقافة إفصاحا عن الهوية الحضارية التي تجعل المجتمعات تشعر بسيادتها واستقلاليتها، فتتزعج إلى اتخاذ قراراتها السيادية بنفسها دون تبعية ولا انقياد للآخرين، فتنتفي طرق الاستغلال والسيطرة على الثروات المادية والمعنوية.

ومن البديهي أن الهوية مرتبطة ارتباطا وثيقا باللغة فهي لا تعتبر وسيلة للتواصل والتفاهم بين المجموعات البشرية فقط، بل هي الأداة المعبرة عن قيمها وثقافتها وانتماؤها وهويتها. فللغة الأثر البالغ في تشكيل الهوية، والتي هي بعبارة أخرى ذات وماهية وحقيقة أية جماعة، في تمييزها عن الجماعات الأخرى إذ أن «اللغة وعاء الثقافة، والثقافة أساس الحضارة والحضارة ترجمة للهوية، ومن هنا كانت اللغة من أهم العوامل التي تساهم في تشكيل هوية الأمة، وكلما كانت اللغة أكثر اتصالا بثقافة الشعوب كانت أقدر على تشكيل هوية الأمة وحملها»⁽²⁾.

ويشير بعض الباحثين بأن «علماء الاجتماع ينظرون إلى اللغة على أنها حقيقة وظاهرة اجتماعية وتعبير عن تنظيم اجتماعي لمجتمع معين ومن هنا نفهم تعلق كل شعب بلغته، لأن الأفراد دائما يرتبطون بأبنتهم الاجتماعية، كأن هؤلاء يرون في اللغة أيضا مظهرا من مظاهر الهوية أو الوجود. والحقيقة أنه كلما تضافر أكثر من عنصر في تشكيل الهوية كلما ازدادت الهوية قوة ووضوحا وتوفرت عوامل التمازج والتماسك والتوحد والانصهار»⁽³⁾.

ولاشك أن من أهم مقومات هوية أمتنا هي اللغة العربية والدين الإسلامي

(1) المرجع نفسه، ص 235.

(2) جميلة قيسمون، «اللغة العربية وتشكيل الهوية في ظل العولمة»، أبحاث المؤتمر الأول، المجلس الدولي للغة العربية، 19-23 مارس، 2012،

• alarabiah.org/uploads/pdf-266-

تاريخ الزيارة: 2014/03/27.

(3) المرجع نفسه.

ولذلك سميت منطقتنا بأنها عربية نسبة إلى اللغة وبأنها إسلامية نسبة إلى الدين، فاللغة تجمع هذه الشعوب في بوثقة واحدة من جهة، والدين يلم شتاتها من جهة أخرى، ونفس الأمر بالنسبة للعناصر الأخرى. فمن لم يكن مسلماً فهو عربي ومن لم يكن عربياً فهو مسلم تجمعهم مع البقية عناصر أخرى. فمنطقتنا نظرياً محظوظة لتوفر عناصر عدة في سبيل تشكيل هويتها واستجلاء خصوصيتها الثقافية، فكلما انتفى عنصر أو خفت إشعاع آخر إلا وتداعت بقية المكونات بالسهر والحمى مساندة ومدعمة لبطاقة هويتها.

ويعتبر من واجبنا الحفاظ على اللغة في عصر تفجرت فيه المعلومات وتطورت فيه الاتصالات وبدأت شبكات الاتصال في الدخول في شتى المجالات والتطبيقات والمتوقع في بداية القرن القادم أن تكون هذه الشبكات من أهم وسائل الاتصال بين المؤسسات والهيئات وربما الأفراد أيضاً بمعنى أنها ستصبح وسيلة لتلقى العلوم والحصول على الدرجات العلمية، وهذا ما يطبق في أكثر الدول المتقدمة مثل أمريكا وفرنسا واليابان وإنجلترا أو يعني هذا أن يتصل الطالب بجامعة ويحصل على مادته العلمية وشرح أستاذه عن طريق هذه الشبكة دون الحاجة إلى الوصول للكلية. وربما تكون الجامعة خارج الولاية، وخارج البلد أيضاً. ويتدرج هذا الاتصال في المستوى، حتى إننا نرى ربة المنزل أيضاً إذا أرادت الحصول على منتج ما عن طريق هذه الشبكة تمكنت من معرفة ثمنه في جميع المحلات ومؤسسات البيع مدعماً بالسعر، ومكان الشراء؛ فتختار ما يناسبها في السعر وسرعة الحصول عليه، وفي إمكانية توصيل الطلبات للمنازل وهي داخل المنزل، وربما تمكنت من رؤية صور الصنف المطلوب أيضاً ومدة صلاحيته، وغيرها من المعلومات. ما دورنا كدول شرقية ناطقة باللغة العربية من كل هذا؟! ما موقعنا على هذه الشبكة؟! وكيف نقويه ونحافظ عليه؟!

هذه القضية يجب ألا نغفل عنها، وإلا أصبحت الاتصالات متاحة بين دول العالم، بينما نمثل نحن منطقة معزولة لا ذكر لها. إن من المتوقع أيضاً - في خلال أعوام قليلة - أن تصبح اللغات التي لا مكان ولا استخدام لها لهذه الشبكة في عداد اللغات المندثرة.

رغم ذلك فقد سخرت بعض الدول الأوروبية لأبحاث اللغة العربية، لإيجاد مكان لها على هذه الشبكة، مؤسسات أجنبية عديدة تقوم بالعمل في مجالات اللغة العربية محاولةً تفهمها وتحليلها. ألم يأن لنا أن نتساءل لماذا؟! لماذا

تهتم هذه الدول بلغتنا، وترصد الملايين للعمل في مجالها؟! إن الإجابة بسيطة وواضحة، إنها تريد أن تتحكم في مواقع اللغة العربية ومصادر المعلومات العربية على هذه الشبكة؛ ومن ثم تستطيع السيطرة على فكر وعقول مستخدمي هذه المواقع، وأن تدس لهم المعلومات كما يتراءى لها. وبعد السيطرة على اللغة والفكر يبدأ استعمار جديد، وهو الاستعمار المعلوماتي. ومع التطور العالمي، واستخدام هذه الشبكات في الدول الشرقية تكون هذه المواقع مصدر المعلومات الوحيد أو على الأقل أهمها؛ ومن ثم يبدأ هذا الاستعمار في تسخير الفكر العربي واستغلاله، واللعب باللغة العربية وتحريفها كما يتراءى له⁽¹⁾.

ويأتي رأي الأديب الإسباني «كاميلو خوسي سيللا» (José Camilo Cela)⁽²⁾⁽³⁾ ليثير كثيرا من الجدل في الأوساط الغربية، ولاسيما دعاة العولمة، ومفاد هذا الرأي أن لغات العالم تتجه نحو التناقص، وأنه لن يبقى إلا أربع لغات قادرة على الحضور العالمي، هذه اللغات هي: الإنجليزية والإسبانية والعربية والصينية، وقد بنى كاميلو خوسي رأيه هذا على استشراف مستقبلي ينطلق من الدراسات اللسانية التي تعين موت اللغات وتقهرها وانتشارها⁽⁴⁾. ويتخذ التونسي عبد السلام المسدي من رأي «كاميلو» منطلقا لتناول القضية إذ يأمل أن تكون العربية واحدة من اللغات العالمية التي سيكتب لها البقاء،

(1) سلوى حماده، «اللغة والهوية العربية في مواجهة عصر المعلومات والعولمة»، الشبكة العربية العالمية،

• <http://www.globalarabnetwork.com/culture-ge/culture-studies/8334-2012-09-23-232500>

تاريخ الزيارة: 2014/02/11.

(2) أديب وشاعر إسباني، ولد في بادرون (Padron) في مقاطعة لاکورونيا بغاليسيا (Galice) في 11 ماي 1916، وحصل على جائزة نوبل في الأدب عام 1989 وحارب إلى جانب فرانسيكو فرانكو في الحرب الأهلية الإسبانية، ولكنه أصبح أحد منتقديه فيما بعد. وتأتي رواية عائلة (باسكوال دوارتي) التي نشرها عام 1942 من بين أشهر أعماله. وتوفي في مدريد في جانفي 2002.

• <http://www.babelio.com/auteur/Camilo-Jose-Cela/44624> (3)

تاريخ الزيارة: 2015/03/13.

(4) مرداسي الجودي، «اللغة العربية وتحديات العولمة»، مرجع سابق، ص 236.

ويرى أن اللغة العربية قد تشكل في طموحاتها المستقبلية أخطارا حقيقية على دعاة العولمة الثقافية وسياستهم التهميشية وذلك مردود إلى جملة أسباب هي⁽¹⁾:

1- احتمال تزايد الوزن الحضاري للغة العربية في المستقبل المنظور فضلا عن البعيد، فاللسان العربي هو اللغة القومية لحوالي 270 مليوناً، وهو يشمل إلى جانب ذلك مرجعية اعتبارية لأكثر من 850 مليون مسلم غير عربي كلهم يتوقون إلى اكتساب اللغة العربية، فإن لم يتقنوها لأنها ليست لغتهم القومية في أضعف الإيمان يناصرونها ويحترمونها بأنموذجها.

2- والعربية تخيف بشيء آخر هو الصق بالحقيقة العلمية القاطعة وعلق بمعطيات المعرفة اللسانية الحديثة، ولأول مرة في تاريخ البشرية، على ما نعلمه من التاريخ الموثوق به، يكتب للسان طبيعي، أن يعمر حوالي سبعة عشر (17) قرناً محتفظاً، بمنظومته الصوتية والصرفية والنحوية فيطوعها ليواكب التطور الحتمي في الدلالات دون أن يتزعزع النظام الثلاثي من داخله.

3- إن اللسان العربي حامل تراث، وناقل معرفة، وشاهد حي على الجذور التي استلهم منها الغرب نهضته الحديثة في كل العلوم النظرية والطبيعية والفلسفية.

ولا يمكن للشعوب أن تعيش بلا مرجعية دينية، واللغة والثقافة وعاء الدين والعولمة كما يتصورها صانعوها حلم راود الإنسانية منذ أمد بعيد، ولكنه حلم يصادم السنن الكونية، فالصراع إكسير الحياة، ولا يزال الناس مختلفين والوحدة الفكرية الشاملة غير ممكنة... ولعلنا سمعنا باللغة العالمية وإحداث (الإسبرانتو) التي اعترفت بها عصبة الأمم 1927 والتي وضعها الروسي «زمنهوف» ومن قبلها لغة «الفوليك» التي وضعها القس الألماني «شيلر» وقد عدلت الإسبرانتو إلى لغة (الأيدو) ثم وحدتا باسم (الاسبرانتيدو) وذهبت المحاولات أدراج الرياح، وتمسك العالم بآلاف اللغات⁽²⁾.

انطلاقاً من هذه المعطيات، وكذلك الانطلاق من وقائع لسانية موثقة كالإقبال المتزايد على تعلم اللغة العربية وبولغ عدد من الأدباء العرب مراتب

(1) المرجع نفسه، ص 237.

(2) المرجع نفسه، ص 238.

عالمية، وارتباط العربية بالقرآن الكريم والدين الإسلامي وممارسة الشعائرية التي ينبغي أن تؤدي بالعربية، فهي ليست مهددة بالانقراض أو الموت بالنظر إلى معيار العدد الذي يعتمد عليه أساسا في تقدير موت اللغة واندثارها، والعربية الآن تحتل منصبا مرموقا في مرتبة اللغات المستعدة لمواجهة تحدي العولمة، ولا بد للعربية أن تأخذ طريقها للتواجد العالمي بصحوة أهلها وتقدمهم العلمي والحضاري كما أن للسان العربي خصائص مميزة وفريدة ترشحه لتبوء المكانة العالمية الرفيعة بين الألسن⁽¹⁾.

المحور الرابع: مقترحات للنهوض باللغة العربية ومواكبة العولمة الإعلامية والاتصالية

ولتجاوز التأثيرات السلبية للعولمة على اللغة العربية، فإن استخدام التحليل النسقي مع اللغة في هذا المقام يعد مجديا وهناك من يجزم بأن المنهج البنيوي الوظيفي المطبق من طرف الأمريكي تالكوت بارسونز (Talcott PARSONS) يعبر عن مرحلة أولى لظهور المنهج النسقي (-sys témique). حيث أن هذا الباحث قد قدم تصورا للنسق والنظام ودافع التوازن داخل النسق في مواجهة المؤثرات الخارجية النابعة من البيئة المحيطة، والتي تقترب من فكرة «إعادة التوازن» (Homostasis) في الكائن البيولوجي. «إذ يقوم النسق بتقليل احتمالات اختلال التوازن داخله عن طريق ميكانزمات الضبط وتأكيد التماثل بين الأفراد واستقرار المعتقدات. وبالطبع إذا لم تعمل ميكانزمات الضبط بفاعلية فإن النسق يصبح مهددا بالانهيار. وتصبح هذه العملية أكثر تعقيدا إذا كان النسق المغلق يحمل بداخله عوامل التغيير. فتصبح هنا عملية تحقيق التوازن أمرا من أصعب الأمور»⁽²⁾. ويفرق بين التغيير على المدى القصير والذي يعمل خلاله النسق على التكيف مع التغيرات التي تطرأ عليه من أجل تحقيق توازنه. والتغيير على المدى الطويل الذي يطرح احتمال تغيير النسق خلال عمره.

فلا تكمن المشكلة في اللغة العربية، وإنما في التمكن منها وحسب

(1) عمار ساسي، اللسان العربي وقضايا العصر، دار المعارف البليلة، الجزائر، 2002، في مرداسي الجودي، المرجع السابق، ص 238.

(2) محمد عاطف غيث، الموقف النظري في علم الاجتماع المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية (مصر)، 1990، ص 123-124.

استعمالها ضمن السياق الخاص، فاللغة العربية تمتلك مقومات المواجهة، وتستطيع مواجهة العولمة، وستكون في مأمن إذ قام أهلها بذلك ونتمنى ألا نكون كعرب من المحامين الفاشلين «فاللغة العربية قضية عادلة حملها محام فاشل»، يقول عبد العزيز التويجري: «إن اللغة العربية تقف اليوم في مفترق الطرق فإما أن تتجدد وتتطور لتواكب المتغيرات اللسانية والمستجدات في الوظائف اللغوية، لتحيا ولتقاوم، وليثبت وجودها، وإما أن تنكشف وتتوقع فترجع وتضعف، وهذا ما لا يريده لها أحد من أبنائها وبناتها ومن محبيها وعشاقها، وهم كثير، إن اللغة العربية تقف وجها لوجه أمام تحديات العولمة»⁽¹⁾.

وقوأم مواجهة تحديات اللغة أن تواكب الجهود التي تبذلها مجامع اللغة العربية في الوطن العربي وأقسام اللغة العربية بالجامعات العربية، التطور الذي تعرفه اللغة بحكم تأثير وسائل الإعلام والاتصال المختلفة فيها، وأن يساير هذا العمل الأكاديمي والفني، الوضع الحالي للغة العربية، فلا يرتفع عنه، ولا يستهين به، وإنما يتفهمه، ويستوعبه، بحيث لا يتم خارج نطاق الواقع، وإنما يكون جزءاً من هذا الواقع، يتفاعل معه تفاعلاً إيجابياً ينتج عنه ازدهار اللغة العربية وانتشارها، والحفاظ عليها وحمايتها، وتطويرها وتجديدها. ولهذا المنهج أربع قواعد نُجزها فيما يلي⁽²⁾:

- أولها: التعامل مع اللغة على أساس أنها كائن حي قابل للتطور وفق ما يقرره أبناء اللغة، أي أن تطوير اللغة يأتي من إرادة الناطقين بها، ويصدر عنهم، فهم أصحاب المصلحة في هذا التطوير.
- ثانيها: إحكام العلاقة بين عملية تطوير اللغة وإصلاحها وتحسينها وتجديدها، وبين المتغيرات التي تعيشها المجتمعات العربية، بحيث تكون عملية التطوير استجابةً لتطور المجتمع ونابعة عن واقعه المعيش.
- ثالثها: الانفتاح على المستجدات في العالم، خاصة في مجالات العلوم

(1) مرداسي الجودي، «اللغة العربية وتحديات العولمة»، مرجع سابق، ص 137-138.

(2) عبد العزيز بن عثمان التويجري، «مستقبل اللغة العربية»، ملخص كتاب، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة (إيسيسكو)، 2004م،

• <http://www.isesco.org.ma/pub/ARABIC/avarabe/P5.htm>

والتقانة والمعلومات وعلم اللغة الحديث بكل تفرعاته والحقول البحثية المرتبطة به، والسعي إلى الاقتباس والنقل والاستفادة الواسعة من نتائج هذه العلوم جميعاً في إغناء اللغة العربية وربطها بحركة الفكر الإنساني.

• رابعها: الاهتمام بالجانب القانوني والتشريعي في عملية التطوير، حرصاً على ضبط مساره والتحكم في نتائجه، من خلال وضع قوانين تصادق عليها الجهات المختصة في الدولة، لفرض هيبة اللغة وإلزام أفراد المجتمع والهيئات والجماعات باحترامها طبقاً للقانون، أسوة بما هو عليه الأمر في بعض الدول الغربية.

نرى أن الحل الأسمى والأول للنهوض بلغتنا العربية في عصر العولمة الإعلامية والاتصالية: هو زراعة حب اللغة العربية في قلوب وعقول الأجيال الصاعدة، لأن هذا من شأنه أن يرقى بخزینتنا العربية على الشبكة العالمية ويمكن تحقيق ذلك الهدف من خلال عدة وسائل، توظيف المناهج المدرسية بما يخدم هذه القضية، والإثبات لهذه الأجيال أن لغتك هي كرامتك وهويتك وأيضاً عقد الندوات الدورية في المدرسة أو الجامعة، للتأكيد على أهمية العربية والحفاظ عليها كي تخدمنا.

أما الحلول الأخرى التالية لهذا الحل فهي على النحو الآتي⁽¹⁾:

- 1- توجيه المزيد من الجهود لإنشاء مزيد من الصفحات المرجعية ذات الطابع العربي في فضاء الإنترنت.
- 2- دعوة مراكز البحوث والهيئات الجامعية والتعليمية العربية إلى الاستفادة من الإمكانيات التي تتيحها الإنترنت لبث حصيلتها المعرفية. وتقديمها للعرب.
- 3- دعوة مجامع اللغة العربية في الدول العربية كافة إلى بذل المزيد من الجهد للاستفادة من الإنترنت لنشر مادتها المتعلقة باللغة العربية.
- 4- دعوة مراكز البحوث الحاسوبية العربية، وكذا شركات الحاسوب العربية، إلى تركيز الجهود البحثية في اتجاه تطوير التقنيات المعنية وتعريبها بـ (الأنترنت) وبخاصة تلك التي تؤدي إلى زيادة التعامل الحاسوبي مع العربية كلغة طبيعية.
- 5- استخدام محرك بحث باللغة العربية، يضاهي محركات البحث الأجنبية

(1) وليد إبراهيم الحاج، اللغة العربية ووسائل الاتصال الحديثة، مرجع سابق، ص 20.

مثل (ياهو)، (جوجل).

6- لإنشاء محتويات عربية غزيرة ومفيدة، القيام بمهمة نقل الكتب والصور والأشرطة السمعية، والمرئية من مصادرها وتحويلها إلى محتويات رقمية، فلدينا كم هائب من الكتب والأبحاث والصور والأشرطة السمعية والمرئية، وإن لم نفعل ذلك في القريب العاجل فقد تضيع هذه المحتويات مع مرور الزمن.

7- البداية في التربية ولا يمكن إغفال التعليم وليس التعليم التقليدي فقط، بل التعليم عن بعد بتوظيف التقنيات الحديثة لتسهيل العملية التعليمية داخل دور الدراسة، ثم مع توظيفها للحصول على الدرجات العلمية المعتمدة، فمن المعروف أن مرحلة الطفولة (حتى 18 سنة) هي أهم مراحل التحصيل العلمي⁽¹⁾.

8- دعم القراءة لأن من المسلم به أنها وسيلة ضرورية للحصول على المعرفة التي أنتجها العقل البشري قديماً وحديثاً، بما فيها من حقائق، وآراء، وأفكار، ومشاعر، وخبرات، وتجارب، وبها تتوسع آفاق عقل المرء، وتتغذى مشاعره، وتثقل خبراته، وتنمو ثروته المعرفية، فيصبح أكثر قدرة على الاستيعاب والتحليل والنقد، وعندئذ يمتلك ناصية التعلم الذاتي، الذي أصبح ضرورة في وقت انفجرت فيه المعرفة، وتضاعف حجمها، وأصبح لزاماً على المرء أن يتعامل مع المادة الضخمة التي تجد طريقها إليه من خلال الوسائل المطبوعة والإلكترونية، وأن يتمكن من انتقاء ما يحتاجه منها، وتمييز غثه من ثمينه⁽²⁾.

9- يمكن للشباب الواعي الذي يعرف كيف يستخدم الحاسوب، ويعرف كيفية تطوير المواقع أن يساهم في تنمية المحتويات العربية بطرق مختلفة، فمثلاً يمكن للشباب أن يتطوع لنقل أعمال أحد العلماء أو الأدباء إلى الشبكة، فالعالم أو المثقف قد لا يكون لديه وقت أو خبرة والشاب قد يملكها ومن الجميل أن يستغل الشاب وقته في شيء مفيد له وللآخرين.

10- التأكيد على أهمية التعامل بعقلية منفتحة مع (الأنترنت)، بحيث يتم منع الأجزاء غير المقبولة بدلاً من منع الشبكة ككل.

(1) سلوى حماده، «اللغة والهوية العربية في مواجهة عصر المعلومات والعولمة»، مرجع سابق.

(2) المرجع نفسه.

خاتمة

لقد أثبت الاتصال منذ تجربته البدائية أن وجود الإنسان يستمر إلا بوجود الآخرين، لأن كل شخص هو في خدمة الجماعة التي هي بدورها في خدمته. فهناك حركة جدلية دائمة بين الشخص والجماعة. لذا فتجاهل البعد العالمي والانغلاق على الذات لا يعتبر حلاً ومخرجا من الأزمات الثقافية واللغوية والاجتماعية التي تعانيها الدول. لأن اللجوء إلى الانغلاق داخل حتمية التمسك بالهويات الداخلية كان مهذا لنشوء الصيغ القومية الأكثر تطرفاً، والرافضة لكل ما هو دخيل. إذن فالتحدي الحقيقي هو تطوير روح التعاون والجماعية مع المحافظة على تميز كل طرف من حيث الهوية. لأن التحدي الثقافي واللغوي لا يبرز في مقاومة النسق - التكنولوجي العالمي الذي أسسته العولمة الإعلامية والاتصالية بل لابد من إيجاد خطط عملية قادرة على مواجهة المخاطر المحدقة باللغة العربية من خلال توفير البنى الأساسية اللغوية التي تمكنها من تقوية مقوماتها حاضراً ومستقبلاً.

تعيش اللغة وتنمو وتزدهر باستمرار الأمم التي تنطق بها، وبتوظيفها في المجالات العلمية والمعرفية والتكنولوجية، فتقع اللغة العربية - بالتالي - بين واقعين: تستند لنظام قيم الثبوت إلى مرجع تاريخي وتراثي كأمر حاسم في تأصيل اللغة ودعم أبنيتها الحضارية، في حين يحتكم نظام قوى التغيير والتبدل إلى قواعد اللغة القادرة على الاستجابة لحاجات الإنسان ورغباته المستجدة زمن العولمة.

وعلى هذا الأساس لن تستطيع المنظومة اللغوية للبلدان العربية الانفصال على الإطلاق عن تفاصيل ظاهرة العولمة الشاملة التي تدعو إلى تغيير المفاهيم والمعاني، فنحن لا نستطيع أن نعيش بمنأى عن التأثير بتداعيات العولمة الثقافية والتكنولوجية ولكن واجب الدفاع عن الهوية يتطلب أولوية الاهتمام بالتفاعل اللغوي والبحث عن الاعتراف والمكانة في ظل انكسار الحواجز اللغوية بين الأنساق المحلية والنسق العالمي. ■